خلود فى الوطن

• بقلم: إبراهيم المصرى

فاشرق وجه الشاب وخيل اليه انه سيتغلب عليها ويقنعها . فاحتقرته ايضا لسذاجته وهى تحس برغم احتقارها انها مازال تحبه بل تعشقه . ولكنه لم يفهمها . لم يستشعر العواطف الثائرة التى كانت تجيش فى صدرها . فاراد ان يعانقها . فلم تتمنع وعانقته . فرهاه الفرح واعماه ؛ واراد ان يقبلها ايضا . ولكنها ردته عنها فى رفق فاطاع ، ثم انصرف مسرعا وهى تشيعه بنظرة ثابتة ملؤها الالم والحزن والحسرة .

وكان الكاهن الاعظم قد انطلق فى صحبة صغار الكهنة الى الرحبة المجاورة للهيكل والمعدة لنحر الذبائح . فاجالت هستيا الطرف حولها . فلم تبصر غير والدها جاثيا عند قدمى تمثال الآلهة ، مستغرقا فى تلاوة صلاة الشكر الجامعة .

فاستغربت منه كيف يستطيع ان يصلى وفى نفسه ارادة الخيانة والغدر . واهاجها ما كان يبدو عليه من خشوع صادق واطمئنان عجيب . فارداد سخطها لنفاقه وقدرته الخارقة على المداراة والتمويه . وفى مثل لمح الطرف تصورت لشوب الثورة ، وهزيمة الجيش ، ودخول الغرس بلادها غزاة فاتحين . فضمت شفتيها فى بعض وحنق ، وهالها ان يقع كل هذا بفعل رجل هو والدها ، كما هالها ماينتظرها على يده من عار لم تكن لتتصور لحظة ان شبهة منه قد تلحق بها . فلبثت واقفة تنظر الى الرجل وتترنجف ...

وتغلغل سكون المعبد فى اطواء نفسها ، واسلمها بجمع عواطفها الى الفكرة المستبدة التى ملكتها . فابتهجت بوحدتها ، واحست الأمن يغريها ويدفعها ، ويوسوس لها الا تضيع هذه الفرصة الفريدة التى حباها القدر بها .

وتقدمت يضع خطوات وهى لا تدرى على وجه التحقيق ماذا يجب عليها ان تعمل . واذ ذاك وقع بصرها على تمثال الآلهة ، فتفرست فيه ، ولبثت فترة شاخصة اليه ، تبتهل وتتضرع وتلتمس ان يهبط الوحى عليها .

وغابت عن سوابها لحظات ، وشعرت كانها تتحلل من كل اثر جثمانى وكان روحها تندمج فى روح الآلهة وتفنى فيها . فعاودت التضرع والابتهال ثم دبت فيها الحياة فجأة . فتألقت عيناها ، وتحرك بدنها على دهش منها ، ومشت كما يمشى النائم ، متجهة صوب حجرة السذور ، تدفعها وتحرسها قوة مجهولة لا قبل لها بمقاومتها .

وحملت تنقل بصرها فى انحاء الحجرة ، ونداء الآلهة يتبعها ، وصداه يرن فى اذنها ويفعم قلبها ايمانا وحرارة وعزما .

وكانت الحجرة مليئة بقلائد ذهبية واساور واقراط واهلة من فضة وذهب ، وسيوف وخناجر مرصعة المقابض بالاحجار الكريمة ، وكلها نذور جمعت فى هذا المكان وقدمها الشعب اعترافا بفضل الآلهة وتمجيدا لمعجزاتها . فرفعت هستيا ذراعها واختطفت احد الخناجر ، ثم مرقت من الحجرة وتوقفت لحظة واصغت . فدوت حولها صرخات الذبائح منبعثة من الرحبة المجاورة . فايقنت ان الكاهن الاعظم مايزال هناك . فاطمأنت ، ومشت مرفوعة بنفس القوة ونفس العزم ونفس الايمان ...

ولما دنت من الهيكل ، خلعت نعليها ، وسارت على اطراف قدميها ، وهى ما تفتأ تحدق الى حركات والدها وترقبها . وعندما القته امامها جاثيا يصلى ، محنى الرأس ، محدودب الظهر ، بارز العنق ، اعراها سكونه وعجزه ، فحبست انفاسها جهدها ، واهابت بعزمها الحائد ، ورفعت ذراعها والخنجر مشهر فى يدها ... وفى تلك اللحظة ... وقبل ان تنفذ هستيا وتفكر وتتخير المقتل الذى يجب ان تسدد اليه طعنتها ، كان الكاهن الاعظم قد لمحها وهو فى رحبة الذبائح . فقفز اليها صارخا . فجفلت الفتاة وطعنت . ولكنها لم تستطع ان تصيب والدها الا فى كتفه . فانقض عليها الكاهن الاعظم ، وانتزع الخنجر من يدها . ثم اسرع واوصد باب الرحبة ، وكر راجعا الى الفتاة وهو يصرخ ثائرا مستهولا :

ـ انت ؟ ... انت ياهستيا ، تريدين قتل والدك ؟ ...

فصاحت الفتاة :

ـ لقد خان عهده لوطنه . وانت ، انت ايضا خنت ، ، وكذلك رئيس الشرطة وصفوة الوجوه والاعيان فى هذا البلد . كلكم وصوليون ، كلكم نفعيون وطلاب مصالح . الدم الحر فى الصفوة المختاره من رجال اليونان قد نضب . والعصارة الطاهره فى قلوبهم قد جفت . فكيف نصبر نحن الشعب عليكم ، وكيف لا نحاول التخلص منكم قبل أن توردوا الوطن مورد الهلاك ؟ ...

أنظر ... انظر الى هذا المنشور الذى دسه فى يدى احد المصلين ...

أليس هو من صنع ايديكم ؟ ... اليست هذه اختامكم ؟ ... الستم انتم الذين تحرضون الشعب على الجيش وزعيمه وتطلبون عقد الصلح مع العدو ولو استحال ابناء اليونان الى رهط ممزق من السائمة والعبيد ! ... اقرأ ... واحجب وجهك عنى ، فقد كنت ايضا خليقا بطعنة ابلغ واعمق من تلك التى اردت انا اسددها الى عنق والدى ! ...

واستردت انفاسها وهمت بان تتحول نحو ابيها الذى كان يبتسم ابتسامته العامضة والدم ينزف منه . ولكن الكاهن الاعظم اسرع وغمس منديله فى حوض الماء المقدس المجاور لتمثال الآلهة ، ثم ضمد جرح الكاهن الاول ، ثم ارتمى على هستيا ، وامسك بها ، وطفق يهزها هزا عنيفا ، ويقول :

ـ اينها الفتـــاة الطائشة ، اينها الفتاة الغريرة ، كان عليك ان تستفسرى قبل ان تنهورى . كان عليك ان ان تتثبتى قبل ان تضربى . ان والدك ياهستيا اشرف واطهر انســـان . اما انا حارس معبد الآلهة بالاس ، والكاهن الاعظم فى هيكلها المقدس ، فقطيع بدنى ارنبا ، او حرقى بالنار ، او موتى على خشب التعذيب ، احب الى من خيانة وطنى ولو وعدت بملك الدنيا ! ... نحن الذين اردنا ذلك ... نحن الذين دبرنا المكيدة ... والدك وانا ورئيس الشرطة حالفنا المتآمرين عن عمد ، وشاركناهم فى توقيع منشـــور الخيـــانة ، واردنا ان نكون عيونا للوطن عليهم ، وجواسيس للزعيم عندهم ، كى نكشـف عن خططهم ونحبطها وننقذ الجيش والزعيم فى معركة الاستقلال الفاصلة ! ... واذا كنت فى شك من ذلك فانظرى ... تعالى وانظرى ... اقترب هذا هو البرهان ... هذا ما امر به والدك اليوم بعد ان اجتمع فى بيته بالمتآمرين ، وهذا مانقده على الفور رئيس الشرطة ... انظـــرى واسمعى ...

واتجه الكاهن الاعظم الى احد الابواب الجانبية وفتحها . فابصرت هستيا شبه عمامة كثيفة ، ثم رأت العمامة تقترب ثم ابصرت صاحبها يتمرق ويسعر عن جماهير غفيرة تدفقت نحو ساحة الهيكل الخارجية ، وطفقت تلوح باذرعها ، وتهدد بقبضاتها ، وتهتف :

ـ الموت لاكتيون !... لريد راس اكتيون ! ... الموت للخونة ! ...

واوصد الكاهن الاعظم الباب ، وتحول الى الفتاة وقال :

ـ لقد اخذناهم فى الفخ نفسه الذى نصبوه لنا . القينا القبض عليهم جميعا ، ماحلا اثنين ... اثنين فقط ..اثنين من اخشهم واخطرهم . امهلنا الاول فترة كى نطمئنه ونستدرجه ، ونعرف منه المكان الذى لجأ اليه الثانى فباغته وهو فى جحره ، ثم نقتص من الرجلين معا ...

فحدقت عينا هستيا دهشـــة مما رأت ونشـــوة بما سمعت ودعرا لما اقـــدمت عليه . فارتمت عند قدمى والدها وصاحت :

ـ غفرانك ياابت الطاهر العظيم ... اقتلنى ... انى لاستحق الموت من يدك جزاء وفاقا على تهورى وطيشى .

فهتف الوالد المطعون :

ـ بل تستحقين الحياة ... العاطفة الوطنية هى التى دفعتك . والعاطفة تصبح الزم للوطن من العقل ، عندما يكون الوطن بين الموت والحياة ... لقد كنت مؤمنة بخيانتى ، وكانت القرينة واضحة ضدى ، فكان لزاما عليك ان تنكرى البنوة وتفكرى فى الواجب . انى لفخور بك ياهستيا . ولكنى اتمنى ان تعودى فتغمدى خنجرك حقا فى عنقى لو رايتك ناكصة على اعقابك ، ومتهاونة ولو لحظة فى تادية واجب وطنى آخر اقسى وافجع من قتلى ! ...

فنفرست فيه الفتاة وقالت :

ـ لا افهمك ... مرنى بما تريد . حياتى فداء للوطن ولك .

فلم يتكلم الوالد . بل انحنى الكاهن الاعظم على الفتاة وصاح :

– جاءني رسول من قبل قائدنا وزعيمنا ملتيادس وانبأني ان خطيبك حبيبك .. كرونوس ... رئيس فرقة الفرسان في الجيش المقاتل ، فر من الجيش ... اتفهمين ؟ ... فر من الجيش حاملا بعض مستندات وخرائط سرية خطيرة متعلقة بالخطة التي رسمها قائدنا لمعركة الاستقلال الحاسمة .. فر من ساحة الحرب ، ثم هبط هذه المدينة ، ثم اتصل ولا ريب بشقيقه الخائن بلوتون حارس صوامع الغلال والذي كان منذ ايام عضوا عاملا في عصبة المتآمرين ثم تخلى عنهم ليضللنا ... نعم ، اتصل كرونوس بشقيقه . أسرع لانقاذه قبل ان نقبض نحن عليه . واتفق كلاهما ولا شك على أن يعاقلا حرس الحدود ، أو يرشواهم بالمال ، ثم ينسلا من المدينة تحت جنح الظلام ، ويتطلقا الى معسكر الفرس فيسلما العدو اسرار جيشنا ! ... هذا هو خطيبك ياهستيا ، وعد جبان ، مهتوك الشرف العسكري وخائن ، بل هو شر علينا من افتك الخونة والمتآمرين . ولقد اعيا رجالنا البحث عن شقيقه الذي اختفى . فأمرت انا الشرطة بتعقبه هو وتفتيش بيته دون ان يقبضوا الآن عليه . ولكنهم بعد ان استجوبوه وفتشوا منزله ، لم يوفقوا لا الى العثور على المستندات الخطيرة التي سرقها ولا الى معرفة المكمن الذي يختفي فيه شقيقه ... واليوم .. بل منذ لحظات ابصروه وهو وكرونوس . يدخل بيتك ... بيتك انت يا هستيا ... فاسرع احدهم منذ دقائق وانهى الي النبأ . فامرتهم بان يحاصروا بيتك عن بعد . وكنت على وشك ان اصارح بالأمر والدك كي يسرع فيلحق بك قبل أن تبلغ البيت ، تنفيذا لخطة وضعتها انا لتوي والقيت عبء تنفيذها على عاتقك ... فكرونوس يتطرك الآن في دارك . ومن المحال أن تكون المستندات السرية معه . انها ولا ريب في حوزة اخيه . أما هو فاكبر الظن انه لم يذهب اليك الا ليقنعك بالفرار معه . فالواجب الذي اطالبك به اليوم ياهستيا ، واجبك العظيم ، واجبك المقدس حقا ، واجبك المرهون بتأديته انتصار جيشنا ، هو أن تتفوقي على نفسك ، وتقهري حبك وقلبك ، وترخصي بمقدم الشاب وتجرديه من سلاحه ان استطعت ، ثم تستدرجيه بالمكر والحيلة ووهم العاطفة والاغراء ، كي تعرفي اين يختبيء شقيقه الخائن بلوتون اذ نحن لو قبضنا على كرونوس ، وحتى لو عذبناه ، فهو لن يعترف . لن يضحي ابدا باخيه الذي يعتبره بمثابة والد له . ولو تركناه طليقا ثم راقبناه ايضا ، فلابد ان يشعر بعد أن فشلت ثورة المتآمرين انه هو وشقيقه في خطر ، فيخدعنا عامدا ويضللنا ويسلك بنا سبلا ملتوية وزائفة كي يتيح لنفسه أو لاخيه فرصة الفرار من المدينة وحمل اسرارنا الى معسكر الفرس . واذن فنحن نريد ان نعرف المخبأ الذي يكمن فيه بلوتون ، نريد ان نعرفه من كرونوس نفسه وبمحض اختياره ، وان كنا مع ذلك قد امرنا رجالنا زيادة في الحيطة والحذر بأن ينتشروا عند الحدود ويراقبوا كل مسافر متسلل ... فالساعة فاصلة ياهستيا ، ومصير جيشنا في يدك ، وانت وحدك التي في مقدورك ان تنتزعي السر من صدر كرونوس ، على ان توطني نفسك يابنيتي على التضحية بخطيبك وحبيبك لانه هو ايضا يجب ان يعاقب ، وهو ايضا يجب ان يلقى مصير الخونة والمتآمرين !

فوجمت هستيا فترة ثم ذكرت مافاله لها كروتوس واقشعر بدنها .

ادركت انه كان يحاتل ويناقق ويحتال عليها . ادركت انه لم يحجم عن قتل والدها حبا فيها بل اعتقادا منه ان والدها كان مثله مارقا وخائنا . ادركت انه لم يفكر فى ترك جيشـــه وبلاده من اجلها هى وحدها بل من اجل مصلحته ايضا . من اجل مطامعه ، من اجل منصب كبير كان يثق ولا ريب انه سيظفر به من حكومة الخونة بعد ان يكون الجيش قد انهزم على يده وبيد شقيقه ... واذن فهو قد اراد ان يظفر بكل شيء على انقاض وطنه : المراة والمنصب ، الجسد والمال ، شـهوة البدن وشهوة الدنيا ! ... نعم . هذا ما اراده كروتوس هذا ما اراد ان تعاونه عليه هســتيا . بل هذا ما كان يستره خلف قنـاع الحب كى تنخدع به الفتـاة الساذجة وتنساق اليه ! ..

وارتعدت فرائصها ، وغشيتها موجة طاغية من الحنق والكره والحقد . كانت عندما صرفت حسها من المعبد لم تزل تحبه ، ولم تزل معقبة عليه برغم ثورتها على ضعفه واحتقارها له . كانت تريد ان تخلو به فى بيتهـا كى توقظ ضميره ، وتســتنهض كرامته ، وتلهب وطنيته ، وترده الى ســاحة القتال مرفوعة الراس بهوهو ماض فى تأدية واجبه . اما الآن وقد وضحت الخيانة المروعة ، ووضـح الخبث المحكم ، والغرض المتاصل المكين فقد تحجر قلب هستيا ، وغاضت عواطفها ، ولم تعد باقية فى عقلها الذى التهم كيانها غير فكرة ثابتة واحدة هى الثار لبلادها ولو على اشلاء حبها التاعس واملها المخيب المنكود .

ورات من العبث ان تصارح بانها قد التقت بكروتوس فى المعبد منذ قليل . فاكتفت بان نهضت واتجهت من فورها صوب تمثال الالهة ، وجثت عند قاعدته ، ورفعت ذراعها وقالت :

ـ اقسم بالالهة بالاس فى يوم عيـدها ان البى نداء كاهنها الاعظم ، وانهض بالواجب المقدس المفروض على نحو وطنى !

فعانقها الكاهن الاعظم وباركها ، واحتضنها والدها وقبلها . فتابطت ذراعه وخرجت به من المعبد ، ملتمعة العينين ، متقدة الوجنتين ، راسخة الخطى ، يرتسم على جبينها المقطب الصارم عزم امراة قدة عجيبة ، تجردت من انوثتها ، واستحالت الى قوة مرهوبة للعدل والثار والعقاب

وكانت الجماهير مازال تهتف فى الميـدان المحيط بالمعبد وتطلب الموت للخونة المتآمرين . وكان الفيلسوف شالكاس واقفا مع صديقه اوريون على مقعد كبير من حجر فى طرف من اطراف الميدان ، وحولهما رهط من الفنـانين والادباء وخادمات الهيكل ، يشاركون جميعا فى اثارة روح الكفاح والصبر فى نفوس الجماهير ، بالقاء الخطب الحماسية ، او القصائد الوطنية ، او الاناشيد التى تمجد القائد الزعيم ماتيادس ، او الارجال التى تحقر وتهزىء الشاعر الخائن اكتيون ، وهى تستنزل لعنة الالهة عليه وعلى صحبه المارقين . وكان اوريون الذميم يخطب هو ايضا .

وكانت حماسته الصادقة تخلع على وجهه المشوه حلة رائعة من جمال . ولكنه كان حزينا ، لايكاد يصمت حتى يفكر فى حظه ويفكر فى حبيبته ، فيتمنى لو انه لم يكن ضعيفا وعليلا كى يسرع الى ميدان القتال ويموت فيظفر بالنعمتين العظيمتين . تقدير الوطن واعجاب هستيا .

وبرزت الفتاة على درج المعبد . فقفز قلب اوريون بين ضلوعه ، وخف اليها . فلوحت له ولاستادها باطراف اناملها . فأسرع شسالكاس وحيا رفاقه واتجه نحوها . فتناولته ذراعها اليسرى فتابطها . ومشى الثلاثة واويون يتبع هستيا كظلها ، ويتسم فى بهجة عبر وجودها ، محاذرا أن تقع عينيها عليه فيقبض قلبها فتلوى بوجهها عنه . . .

ولم تتردد الفتاة وشرعت تقص على استادها كل شىء . كل ما اقدمت هى عليه ، وكل ماقاله الكاهن الأعظم عهد اليها به ، دون ان تذكر لقاءها بكرونوس فى المعبد خشية أن يلومها الفيلسوف على ترفقها بحبيبها واملها فى ايقاظ ضميره والهاب وطنيته بعد ان راته يتبدل ويوشك أن ينحرف عن السبيل السوى .

وكان اوريون يسمع وهو يرتعش . اثلجت صدره خيانة عزيمه وانحطاطه فى نظر الفتاة . ولكنه كبح ثورته على كرونوس ولم يتكلم حرصا على كرامة هستيا . اما الفيلسوف فظل مصغيا للحديث فى هدوء المفكر المتأمل ، ثم تطلع الى الفتاة ، وابرقت عيناه وقال :

ــ هذه ساعة مجدك ياابنتى . لن تكونى جديرة بالانتساب الى امتك ياهستيا، اذا انت احجمت ولو لحظة عن تأديه واجبك . فاحذرى وتنبهى . انك مهما قلت انك تبغضين الآن كرونوس ، فقلبك كان يحبه وروحك كانت اخت روحه ، ومستقبلك كله كان معقودا عليه . فاحذرى الضعف ساعة الحساب ياهستيا . ان الانسان قد يكره دون ان يعلم انه على قدر كرهه يحب . فالكره يخفى الحب فى معظم الاحيان يابنيتى . ومتى اراد الكره ان يعاقب ويضرب فقد يثور الحب فى النفس فجاة ، وتحل الشفقة العميقة محل الكراهية الغامرة . فاياك ان يغدر بك الحب فتشفقى على كرونوس . اية قيمة لحبنا اذا هو لم يرتفع بنا الى عالم افضل واسمى وابقى منا . فانت ان غلبت واجبك على حبك ، وعاقبت المذنب دون رحمة ، جاور حبك نفسه محيط ذاتك العالية . وسما بك الى حب اروع واعلى هو حبك لوطنك الباقى وبلادك الخالدة . فانقلى الحب من الانانية الى التضحية ، من ارض الناس الى سماء الآلهة ، من فناء ترابك الجسدى الى خلود وطنك الفالى فى اصلابه المتعاقبة . ومتى ضحيت بحبك ، وخلقت عامدة قلبك ، وآثرت خلود وطنك على دوام متعتك وسعادتك ، خلدت انت نفسك فى نظر ذاتك ، وفى ذكرى اهلك وعشيرتك ، وفى عزة وطنك الذى لن ينسى انه كان على وشك ان يموت فقدر له ان يجد الخلاص على يدك ! . . . فتقدمى ولا تجزعى . اضربى ولا تشفقى . هذه كلمتى اليك ياهستيا ، فاذكريها ، وضعيها نصب عينك وانت تحاسبين الخائن المجرم الشقى ! .

وصمت الفيلسوف وهو يلهث . فضمت هستيا ذراعه الى قلبها وصاحت :

ـ لم اعد الآن انثى . لقد مات حبى وبقى حقدى ، والحقد اقوى من اية عاطفة رخيصة يمكن ان تغلبنى . فادخلوا انتم هنا . في الجناح الايمن من بيتنا . والبثوا هناك حتى ادعوكم . ولسوف أبدل أنا جوهر طبيعتى حتى انكرها ، واممن فى خلق ذاتى خلقا جديدا عجيبا ، حتى انفذ الى اعماق نفس كرونوس ، وانتزع سره ، وانقذ وطنى .

ودخل الثلاثه مسرعين . أما هستيا فقد توقفت لحظة ، وتنفست طويلا ، ثم استجمعت قواها ودخلت الجناح الايسر ، حيث كان ينظرها كرونوس .

ولكنها ما أن تحت ستار الحجرة قليلا ولمحت الشاب جالسا على مقعد ومعتمدا رأسه بيده ، حتى تملكها ذلك الانفعال العنيف الذى توقعه استاذها . تخاذلت وتراجعت واشفقت . وثب حبها فى صدرها وارجف قلبها رجفانا كاد يخنقها . لم تستطع أن تتصور ان ستكون هى السبب فى المصير الفاجع الذى

ينتظر حبيبها . نعم . لقد ثارت عليه فى المعبد واحتقرته لضعفه . ولكنها اعتبرته خائنا بالفكر فقط وكان فى عزمها ان تؤنبه وتراجعه وتهديه . اما الآن فهو خائن بالفكر والفعل ، بالنية والعمل . ويجب أن تحاسبه . يجب ان تعاقبه . يجب أن تقتله بيدها هى ، بيدها التى لم تكن تتمنى اكثر من ان تضمه وترعاه وتخدمه الحياة بطولها .

وغشى الدم عينيها ، واشتد خفقان قلبها ، واوشكت الشعلة القادرة ان تستبد بها وتقهرها . فتلفتت حولها شبه مخبولة ، وذكرت كلمات أستاذها ، وتصلبت ... تصلبت جاهدة وامسكت بقلبها ، تهصره بيدها هصرا كأنها تريد ان تنتزع من شغافه كل حبها وكل حنانها . ولما الفت نفسها مازال محجمة ، ومازال مستخذية وخائرة ، ذكرت شيئا آخر ايقظها والهبها . ذكرت انها كانت ستقتل والدها نفسه فى سبيل بلادها . فكبر عليها ان تضحى بالوالد وتشفق على الحبيب ، أن تقسو على الأصيل وترغم الغريب . فضمت قبضتيها ، وعضت بأسنانها على طرف ثوبها الابيض الذى باركه ملمس الآلهة المقدسة منذ لحظات ، ثم استغفرت الآلهة واستنجدت بها ، ثم رفعت رأسها فى شموخ ، وجذبت ستار الحجرة فى عنف ، ودخلت على كرونوس امرأة مستبسلة جديدة ،دهشت هى نفسها من حلولها الطارىء فيها ، ومن قوتها التى لم تكن تحلم ابدا بها .

ولما ان ابصرها الشاب حتى فتح ذراعيه واقبل عليها . فارتمت فى حضنه ، وعانقته فى حرارة ، وقبلته فى نشوة ، ثم صاحت به وهى تضمه الى صدرها ضما عنيفا ، وتحاول بكل ما اوتيت من دهاء الأنثى وفتنتها ان ان تصب فى عروقه سحرا يختم على بصره ، ويخضع ارادته ، ويقهر وساوسه ويخنقها :

ـ الم يبلغك النبأ ؟ ...

فتطلع اليها ثابتا وقال :

ـ ومن الذى يجهله ... انهم القوا القبض على الشاعر اكتيون واصحابه .

ولقد سمعت الجماهير من هنا تطالب بموته . واكبر ظنى انهم لابد ان يقبضوا أيضا على والدك ياهستيا وعلى الكاهن الاعظم ورئيس الشرطة وجميع من وقعوا المنشور ...

فصرخت الفتاة :

ـ لم يبق لى غيرك ... الجميع فى السجن يرسفون فى الاغلال ! .. والدى واصحابه ... ولكنهم ليسوا وحدهم الخونة . انت جاهل ياكرونوس بما هو ادهى واعظم ... الحاكم نفسه خائن ... حاكم المدينة هو اكبر عملاء الفرس ... اتدرى ماذا فعل ؟ ... لقد اصدر امره ايضا باعتقال ابن عمى واربعة من رفاقه ... ابن عمى العالم الفلكى الشهير الذى كان يعيش فى صومعته منقطعا لعلمه وبعيدا عن الدنيا ...

فارتجف كرونوس وقال :

ـ حتى هو ؟! ...

فصاحت هستيا مستنكرة :

ـ اذلك الرجل العبقرى المشهود له بالنزاهة والاستقامة وصدق الوطنية ، يمكن ان يكون خائنا ؟! ... لا ... لقد قبض عليه الحاكم واعتقل أيضا رفاقه لانهم كانوا مخلصين واوفياء لقائد الجيش زعيمنا ... ان فى الامر لتدبيرا شـــائنا ياكرونوس ... ان فى الامر لطمعا مروعا فى الاسلاب والغنائم بعد الهزيمة ... ولقد بان حاكمنـــا يعتقد ان هزيمة جيشـــنا محتومة فأراد ان يقضى على المتـآمرين والمخلصين معا كى يصبح هو وحده صاحب الكلمة النافذة فيما . فيستطيع ان

يحالف العدو المنتصر ، وان يفوز هو واعوانه بحكم البلاد تحت حمـاية الغاصب المحتل ... نعم . الحاكم واعوانه هم طليعة الخونة ، وهم طليعة الوصـــوليين ، وهم الذين يستخدمون سلطانهم للقضاء على كل من ينافسهم ويعارضهم ، بغية القضاء على جيشنا وعقد الصلح مع العدو ... فاذا كان ذلك العالم النبيل خائنا ورفاقه الاشراف ايضا خونة ، والحاكم واتباعه هم وحدهم الابرار ، فقل العفاء على جيشنا ، وقل السلام فى هذا البلد على كل جهد يبذل من أجـل الحـرية والخلاص .

والتقطت انفاسها واستطردت وعيناها تتوهجان كانما قد تلبســتها قـوة علوية تلهمها دورها الهاما :

ـ انا لا اتالم ولا أتمـــــرد لأن والدى الآن طريح الســـجن . يجب ان يلقى جزاءه . ولكنى اقول كيف يقبض على والدى ثمن يكون الذين قبضوا عليه هم خونة مثله ، ابلغ منه خيانة واوقع غدرا ؟! ... هذا ما يثيرنى عليهم . وان ثورتى لتملأ كيـانى ، وتغلى كالمرجل المســـتعر فى دمى .. ولكن ما حيلتى ؟ ماذا فى طاقتى انا المسكينة ان افعل ؟ انا ثائرة وبائسة وكذلك استاذى واوريون . كلنا ساخط ، وكلنا ناقم ، وكلنا عاجز . فكيف يطلب منا ونحن افراد ان نكون اكثر وطنية من حكامنا ؟ ... كيف يطلب منا ان نبذل ونضحى بينما القدوة التى تهبط الينا من اعلى تعلمنا الانانية ، وتغرينا بالمصلحة ، وتدفعنا الى الاستسـلام ؟ ... لا ... انا لن اضحى بشخصى الا اذا رايت مثل التضحية حيا نابضا فيمن هم اعظم منى. ومادامو هم قد خانوا ، فانا اتحلل من كل رابطة وكل قيد ، ولا افكر الا فى نفسى ومصلحتى ...

تهتف كرونوس وهو ذاهل :

ـ الم أقل لك ؟ ... بأى حق نموت نحن ويعيشون هم على انقاضنا فى بحبوحة ورخاء ؟ ... ان حبى هو الحقيقة الواحدة التى اعرفها ، وهو المبدأ الفرد الذى اصـبحت اعيش من اجله واومن به ! ... لن اكون مطية للوصـــوليين ! ... لن اخدع بهم ! ... لن ادعهم يتخذونى اداة لاطماعهم ثم يلقون بى جثة هامدة يرقصون على اشـــلائها مقهقهين . ان قوتى فى أن التهمهم قبـــل ان يلتهمونى ، وأن

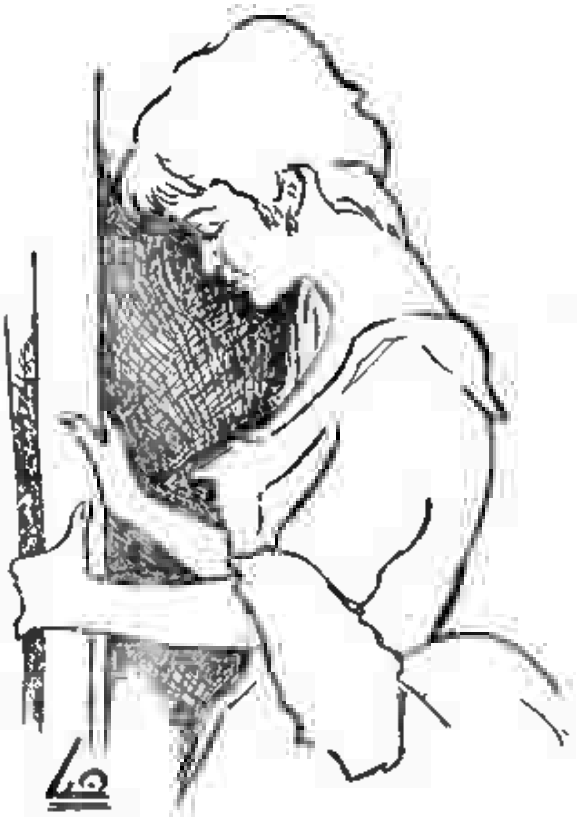

اعيش واحب واسعد قبل ان يقضوا القضاء المبرم على ... يجب ان ارحل . فاذا كنت حقا تحبيننى يا هستيا فاتبعينى ...

فلمعت عينا الفتـــاة ، وارتمت عليه ، ثم استـــكنت فى لهفة بين احضانه ، وانكمشت وتكورت كالهرة المستانسة المولعة بالملاطفة والدعاب ، وقالت فجأة وهى تتأرجح على ركبتيه وتقبله :

ـ والى أين ستأخذنى ؟ ...

فقال وقد اشرق محياه :

ـ الى اية جزيرة نائية فى البحر المتوســط ، الى اية بقعة من الأرض يمكن ان تكون وطن الحب والحرية والنعيم الدائم الابدى .

فقالت هستيا وهى تحملق فيه وتبتسم فى دهشة كالاطفال :

ـ ومن اين لك المال ؟ ... ما اظنـك قد جمعت ثروة وانت فى ســاحة الحرب ؟ ...

فرماها بنظرة فاحصة ، واضطرب بالرغم منه ، ومرت على وجهه المحتقن سحابة من ريبة ... ولكن الفتاة عاجلته بضحكة ساذجة ناضرة ، وتعلقت بعنقه وصاحت :

ـ اية قيمة للمال مادام هناك حب . الحب نفســه ثروة تكســو وجه الفقر طبقة من ذهب . وسواء اضمن لك الحب فى قصر أم فى كوخ ، فانت الذى أنشــد ، انت أملى وحلمى ، ومن قلبك وحده تنبع سعادتى لا من الجدران والأحجار !

فطرب الشاب ولم تعد تسعه الدنيا ، وردد :

ـ اذن فاتبعيني !

فقالت في صوت جهير يتقد حبا ومغامرة وعزما :

ـ سأرحل معك !

فجثا عند قدميها ، وطوقهما بذراعيه ، وعلق بقبلهما كمعتوه . اختلج بدنه ثقة وعزة ونصرا ، وتحدرت على وجنته دمعة فرح ، وتمثلت فيه صورة انسان كان يطلب المستحيل فدان له المستحيل واذهله وروعه وسحقه .

ونظرت اليه الفتاة وهالها مرآه . هالها ان يحبها على هذه الصورة . هالها يبكي من فرط عشقه لها فتقدر هي به عامدة وتطعمه . فعاودها الحنان ، وعاودتها الشفقة . فمزقت قلبها ، بل قطعت احشاءها ، وكادت ان تعصف بها وتعميها عن رؤية واجبها . ولكنها تراجعت وتماسكت . تصلبت جهدها كما فعلت منذ لحظة . ثم تصورت والدها يلعنها ، واستاذها يلفظها ، واوريون يودريها ، والكاهن الاعظم يصب جام سخطه عليها ويحرمها من دخول المعبد ويعلن في الملا انها مارقة وخائنة . فحن حنونها ، وعز عليها مصيرها ومصير وطنها . فغرست اظافرها في راحتيها ، وقالت صارخة :

ـ واين نلتقي ؟ ... ومتى ؟ ...

فهمس كرونوس وهو يرفر :

ـ الليلة ... يجب ان نرحل الليلة ... وساكون في انتظارك بعد منتصف الليل ، عند سفح الهضبة الكبيرة القائمة خلف مساكن الشعب البعيدة عن قلب المدينة ومشارف المعبد ... لقد اعددت عدتي ...

فانتفضت الفتاة واحست ان الساعة المرتقبة المرهوبة قد دنت . فاهابت بكل ما فيها من شجاعة وصلابة ، واسرعت وقالت قبل ان تشفق مرة اخرى وتنهزم :

ـ وشقيقك ؟ ... بلوتون ... ذلك الرجل الطيب الكريم الذي رباك بعد وفاة والدك ، وعلمك وثقفك ، ولم يشأ ان يتزوج خشية ان تستبد امرأته بك... اتتركه هنا ؟ ... اتدعه فريسة للحاكم ؟ ... سيعتقد الحاكم الخائن انك فررت لتلحق بالجيش ، وانك ستعلن عن خيانته ، وتفضح خططه عند القائد الزعيم . فيقتل شقيقك انتقاما منك ! ... اتيهون عليك ان تسلم انت ويموت الرجل الذي هو بضعة من لحمك ودمك ؟ ... لا ... انا لا اقبل . لا اقبل هذا ابدا !

فصاح كرونوس وقد راعه اخلاص الفتاة وضاعف حبه تأججا واشتعالا :

ـ بلوتون سيرحل معنا ! فلم تمهله وقالت وبدتها يكاد ينخلع :

ـ ولكن اين هو الآن ؟ ... الم تقل انه يختفي في معبد عيبته انت له ؟ ... فارشدني الى ذلك المعبد وابتعد ... لا تظهر ... الحاكم لا يمكن ان يغفل عنك وانت الوطني المخلص ورئيس فرقة الفرسان . وهو كما قلت لك لا بد ان يتعقبك ويقبض عليك خشية ان تلحق بفرقتك وتعطل تدبيره عند القائد ... فما الذي يضطرك للظهور والاستهداف للخطر ؟ ... اهو المال الذي جمعته والذي تحن في

حاجة اليه ؟ ... لا ريب انك اودعته عند اخيك . ساجيئك انا به . ابق هنا ولا تخرج . انى خائفة عليك . الحاكم لن يفكر ابدا فى اقتحام بيتى بعد ان اعتقل والدى ... فدعنى اذهب الى المخبأ ... ساتصل باخيك تحت جنح الظلام ، واصطحبه معى الى سفح الهضبة الكبيرة حيث تلحق بنا انت . وهكذا نفر جميعا وننجو ... فقل لى اين يختبىء بلوتون ؟ ... تكلم . وثق فى حنكتى وذكائى ، واعتمد بعد الآلهة على ! ...

وتراجعت كمن يتحفز لعمل جرىء هو خليق به ، ووقفت مرفوعة الرأس شامخة ومتاهبة . فبهره صدقها ، وفيض حماستها وغيرتها ونبلها . فاندفع اليها شاردا مفتونا ، وضمها الى صدره كمن يضم كنزا وقال وهو يغمر وجهها بالقبلات :

ـ فى الكهف ... فى كهف المجذومين ! ... هناك حيث شقيقى ، فى ذلك الكهف الذى كان يطرح فيه مرضى الجذام قبل أن تنشىء الحكومة مستعمرة لهم ... الكهف على بعد ساعة من هنا . ولكن كيف يمكنك انت الذهاب الى هناك ، واختيار الطريق فى الليل بدون رفيق ؟ ...

فقالت هستيا وهى ترتعد :

ـ اذن فالمخبأ هو كهف المجذومين ؟! ...

وتقلصت عضلات وجهها تقلصا مخيفا ، وتلوث فى تشنج والم كظيم ، كان قوة تعتصرها اعتصارا وتستنزف آخر نقطة من دمها . ولم تشأ ان تنظر الى كروتوس ، فاغمضت عينيها ... اغمضت عينيها كى لا تراه فى هذه اللحظة الرهيبة ولا تنجذب اليه ولا تدع قلبها يتأثر ويتحول ولو بمسكة من الشفقة عليه . وقبل ان يوجس ويتنبه ويستفيق ، غافلته وهو ساهم ، واستصرخت فى عمق نفسها معبودتها الجبارة بالاس ، ثم انحنت على الشاب ، واختطفت منه خنجره ، ودسته فى صدارها ، ثم انطلقت نحو باب الحجرة ورفعت ستاره ، وصاحت فى صوت غائر مخبل متحشرج مخنوق :

ـ تعالوا ... ادخلوا ... لقد اعترف ! .. ان شقيقه الذى يحمل اسرار جيشنا يكمن الآن فى كهف المجذومين ! واندفع الى الحجرة والدها واستاذها واوديون ونفر من رجال الشرطة الذين كانوا قد حاصروا البيت . وما ان ابصرهم كروتوس وشاهد والد هستيا حرا طليقا ، حتى تراجع مصعوقا وجمد . اتسعت عيناه ، وارتجفت شفتاه ، ورمى الفتاة بنظرة من نار ، وظل يحدق اليها مبهوم الفم ، مستشيط العين ، ممسوح القسمات . اشبه بوحش وقع بغتة فى فخ ضيق المنافذ عالى السدود ، فهو يود ان يعض وينهش ويثأر فلا يستطيع ... ووضحت أمامه المكيدة المحكمة التى دبرتها له المرأة الوحيدة التى أحبها . ادرك لفوره ان قصة الحاكم كانت كلها محض اختلاق . ادرك ان والد الفتاة ورئيس الشرطة كانوا جميعا جواسيس للحاكم والقائد عليه هو وعلى بقية المتآمرين .

فتاه عقله ، وايقن من موت شقيقه وموته هو ايضا بالسهام والحراب بعد ان يجر فى شوارع اثينا ، ويعرض على الجماهير الثائرة ، ويلطخ اسمه واسم اسرته بشر ضروب الفضيحة والعار . فظل لحظة تائها ولم يتكلم . وعندئذ دنت منه هستيا وصاحت بأعلى صوتها وهى تتعطر وتتلوى والدمع يهمر من عينيها :

ـ اشهد الآلهة يا كرونوس على انى كنت اوثر ان يكون عقابك وعارك على يد غيرى . كنت احبك بل اعبدك يا كرونوس .

كنت استدرجك واتملق . كنت احاسسك واتقطع . كنت اديك وقلبى المعصم بالشفقة عليك يقطر دما . ولكنى كنت مجبرة يا كرونوس . كنت مواطنة قبل ان اكون امراة ، وكنت اغريقية قبل ان اكون انثى وعاشقة . كان يجب ان اضع واجبى فوق حبى ، وان اتجرد من كل رحمة واحب موتك يا حبيبى لاستطيع ان احب الحياة لوطنى ! ... فقدر موقفى يا كرونوس ولا تكرهنى . اشفق على شفقة استحقها ولا تبغضنى . لقد ارتفعت انا بحبنا الى عالم أسمى وابقى منا . فانظر انت الى هذا العالم فقط ولا تنظر الى . انظر الى وطنك ولا تحقد على . كن نبيلا كما كنت فى ماضيك ، وكفر عن جريمتك مختارا واقبل عقابك . اقبل العقاب العادل واحتمله فى اقرار متواضع بذنبك ، احس انا ان وطنيتك قد بعثت وضميرك قد استفاق ، فاعبدك روحا اكثر الف مرة مما كنت اعبدك جسدا ، واعاهدك على الا اعرف بعدك اى رجل ، وان ادخل المعبد منذ الساعة ، وانقطع فيه عن الدنيا ، واندر نفسى وحياتى لخدمة الآلهة حتى اموت ! ..

فاخلج كرونوس اختلاجا عنيفا ولم يجبها بكلمة . لم يلق عليها اية نظرة ، بل اشاح بوجهه واجال بصره فى اوريون الناقم الحاقد ، وفى الفيلسوف الهادىء المتأمل ، واستقر على والد هستيا الجامد الصابر . فاتجه نحوه ، واتاد فترة ، ثم قال فى صوت ثابت جهير :

ـ لا انكر شيئا مما تتهمونني به يا سيدى . انا مقر بانى قد فررت من الجيش وسرقت أسراره ، ومقر بانى خائن لوطنى ومستحق للعقاب . ولقد ندمت كل الندم على جريمتى . ندمت من اعماق قلبى ولم اعد آمل فى اكثر من ان يشفع لى ندمى عند الآلهة فتغفر لى فى العالم الآخر وترحمنى . ولكنى جندى يا سيدى ، جندى خدمت بلادى فى ساحة الحرب مرات ، وقاتلت فى بسالة وجرحت . فغاية ما اطلب الآن هو أن تجتنبنى الفضيحة والعار . فاعطنى سلاحى اقضى به على نفسى بنفسى ، واموت كجندى لا كمجرم . هذا كل ما اطمع فيه يا سيدى . فلا تبخل على بهذه النعمة فى لحظتى الأخيرة وترفق بى ! ...

فاضطرب الكاهن ورمق الفيلسوف بنظرة . أما هستيا التى لمست فعل كلماتها فى نفس كرونوس ، والتى كان عزاؤها الأوحد ان تراه يرتد الى حظيرة الوطن تائبا نادما متطهرا قبل ان تفقده الى الأبد ، فقد راعتها عباراته ، وبهرتها يقظة ضميره ، واثلج صدرها فرط ندمه وتوبته . فاستضاء وجهها ، وتألقت عيناها ، والبعثت امامها صورة الفارس الوطنى البطل الذى كان بالأمس كل حياتها . فارتمت على والدها ، وتشبثت به وصرخت :

ـ ما جدواكم من تعذيب الرجل وتلويثه ؟ ... ما جدواكم من عرضه فى شوارع المدينة امام الشعب الثائر ، ثم قتله بالسهام أو الحراب كقاطع طريق ؟ ... ان أسرار جيشنا فى حوزه شقيقه ، وشقيقه أصبح الآن فى قبضتكم . اما هو فقد رد الى نفسه اعتبارها بيقظته الخالصة وندمه العميق . فانا ، أنا الذى مالأته واستدرجته وانتزعت لكم سره ، من حقى عليكم ، ان تدعونى أفصل فى القرار الذى يجب ان تنتهى بموجبه حياته ! ... لا ... لن يموت الرجل كمجرم ... لن يلطخ بالعار بعد أن استهول الجريمة وآمن بالوطن ... خذ سلاحك يا كروتوس ، واسترد ولو بعض كرامتك ، ومت على الأقل كجندى ... خذ ...

وانتزعت خنجره من صدارها ودفعت اليه به . فانحنى على الأرض وهو يتناوله منها . ثم رفع رأسه وحدق اليها . فالتقت نفسها فجأة تجاه عينين واسعتين ضاريتين مشتتتين فيها . فاجفلت وتراجعت . ولكن كروتوس لحق بها . وقبل ان تتنبه هى أو يقظ اوريون او والدها أو أستاذها أو رجال الشرطه ، عاقلها الشاب وهى مشدوهة ، وجذبها فى عنف اليه . وفى مثل خطف البرق او وقع الصاعقة ، احمد خنجره فى صدرها . ثم انتزعه وحاول أن يضرب به نفسه . فاسرع الجند وارتموا عليه ، ثم جردوه من سلاحه وكباوه ، بينما كان اوريون يطلق صرخة مدوية ، ويتلقى الفتاة بين ذراعيه ، ويرقدها على احدى الأرائك ، والفيلسوف وقد ملكه الذعر ، يهرع اليها ، وينادى الخدم ، ويطلب طبيبا ، ووالدها المسكين ينحنى عليها ويهزها فى تهافت وخبال ، ويصيح

ـ هستيا ... حبيبتى هستيا ...

ولكن الفتاة التى كان ينزف الدم من صدرها ، زفرت زفرة مخنوقة اعقبها انين اجش . ثم ارسلت نفسا عميقا سمع له اصطخاب أشبه بهدير موج . ثم اصفر لونها ، وعارت وجنتاها ، ولمعت عيناها الجاحظتان لمعانا ثابتا خاويا مخيفا لا اثر فيه لأى وعى بشرى . فعقد الوالد صوابه ، وصرخ وهو يضرب صدره بقبضته وينفجر بالبكاء :

ـ ماتت ابنتى ! ... ماتت هستيا ! ...

واخذته أخذة مروعة من الحنق والكمد واللوعة . فتحول الى الجند ، واشار الى كروتوس وصاح :

ـ لقد عاش خائنا وانتهى نذلا . فعذبوه ... عذبوه هو اليوم بالفضيحة أولا ، ثم عذبوا بها فى غد شقيقه الذى هو الآن فى قبضتكم ... اعرضوهما على الجماهير فى الشوارع ... مرعوهما فى حماة الذل والتنكيل والعار ثم اقتلوهما بالسهام أو الحراب . فكلاهما أغلظ واقسى من افتك مجرم قاطع طريق ! ..

فانقض الجند على كروتوس ، وجردوه من مئزره العسكرى وقميصه ، وانتزعوا من صدره شارات فرقته ، وكبلوا قدميه بالأغلال ثم ساقوه . فعاد الوالد وارتمى على جثة ابنته ، واردف مخبولا وهو يقبلها فى حرقة ويبكى :

ـ احملوها الى فراشها ... اعمروها بالرنابق والورود ... سيصلى عليها الكهنة هنا ... وستدفن هنا ... فى ضريح بيتى ... فى الضريح الذى دفنت فيه أمها . والذى لابد ان ترحمنى الآلهة وشيكا وتغيبنى أنا ايضا فيه ! ..

وعند ذراعيه المرتعشتين ليعاون فى حملها . ولكن اوريون ، اوريون الذى كان *يتاملها ويحتلج ، ويضم الى صدره جسدها البارد والدمع يطفر من عينيه* ، تشبث بها ، واحكم ضمها واعتناقها ، وصاح فى صوت عاثر قاطع ، تمشت فيه شبه لوثة من جنون :

لن يجسر واحد منكم على أن يسلبها منى . انها الآن لى ... لى انا وحدى ! ... لقد احببتها وعبدتها كما لم احبب واعبد آلهتى ! ... فانا الرجل الشقى ، أنا الرجل الدميم المحقر المنبوذ الذى وهبت كل ما أملكه لوطنى ، وكنت اتمس انسان برغم ثرائى ، ولم اشعر فى حياتى باية نفحة من حب او قبس من حنان ، التمس منكم ، بل اتوسل اليكم أن تعطونى هستيا ... لا تأخذوها منى ... ان مثلها لا يسجى على ارض فانية كجميع الناس ... يجب أن يصلى عليها فى المعبد لا هنا . انها منذ اليوم عذراء الوطن الخالدة . ولقد ماتت شهيدة . فالمقبرة الحليقة بها هى مقبرة المعبد المقدسة حيث ترقد من حلت عليهن معجزات الآلهة بالاس ، ومن احتلطت عظامهن بعظام خادمات الهيكل البتولات الطاهرات ... هناك مثوى ابنتك يا سيدى الكاهن . فلا تحرم الوطن من تقديسها ، ولا تحرمنى أنا منها ، فانا ساقتدى منذ اللحظة بها . سأفعل ما كانت ستفعله هى من أجل رجل لم يستحقها . سأودع الدنيا فى سبيلها ، وأدخل المعبد ناذرا نفسى لخدمة الآلهة ، واظل فى المعبد بجوار قبرها ، أحبها واذكرها واصلى ، حتى تحيينى هى ، وتناديني ، فاموت وقد استوعبت روحها روحى كما يستوعب النور ظلمة الليل الحالكة ! ... فلا تكن أنانيا يا سيدى ، ومر بحمل ابنتك الى المعبد ...

وما كاد اوريون يتم خطابه ، حتى اهتزت جوانب البيت ، وتصاعدت من الخارج جلبة كبيرة . ثم شوهدت الجماهير التى علمت من رجال الشرطة بخيانة كرونوس واستشهاد هستيا ، تتقدم نحو البيت كالسيل الجارف ، وتصرخ طالبة تمجيد الشهيدة وحملها الى المعبد . فهتف اوريون والفرح يخنقه :

ـ هذا هو صوت الشعب !

فلم يسع الكاهن الا أن يسلم . فتقدم اوريون نفسه وحمل الجثة بمعاونة استاذه ، وخرج موكب الشهيدة يتبعه والدها الشيخ ، وخدم الدار ، وطوائف الشعب التى كانت تهتف للعذراء المجيدة ، وتستنزل لعنة الآلهة على كرونوس ، وتقاتل الجند وتقتحم نطاقهم ، كى تبصق فى وجه المجرم ، وتخدشه باظافرها او تضربه بقبضاتها او تركله باقدامها ، وهو يعرض فى الشارع ، عارى الصدر ، مكبل اليدين والقدمين ، يمسح بذراعه قطرات الدم التى تسيل من وجهه ، ويشهد عاره بعينيه قبل أن يضرب بالحراب ويموت

ولما دخل الموكب المعبد ، أقيم جثمان هستيا على منصة عالية عند قاعدة تمثال الآلهة بالاس ، وغطته خادمات الهيكل بالزنابق والورود وسعف النخل واكاليل الغار التى كان قد جاء بها الشعب . ثم تقدم الكاهن الأعظم ، وقدم عليه والد الشهيدة ، وشرع يتلو صلاة الحنائر ، ومن حوله الشعب يتنحب وصغار الكهنة يحبسون دموعهم ويرتلون .

ولما صمت الكل فترة ، وانصتوا لسماع كلمة التابين ، نهض الفيلسوف الذى كان قد تداعى من فرط الألم وجلس على احدى درجات المعبد ، وتمالك نفسه ، ووقف فى الجمع المحتشد ثم رفع ذراعه وقال :

ـ **اخوانى وابنائى فى الوطن الجريح** ... منذ أن تحضر الانسان عز عليه أن يفنى جهاده . فصبت نفسه الى الخلود . احس أن حياته الشخصية فانية . فآمن بالدين كى يخلد ، وآمن بالعائلة كى يخلد . ثم آمن بالوطن لأن الوطن هو الرمز الشامل المقدس لخلوده ، وخلود أصلابه ، وخلود جميع من تحملهم الأرض التى منها يتنفس وبوساطتها يعيش . ولكن الانسان قوى وضعيف ، باذل وأنانى . وهو دائم التأرجح بين مصلحته الخاصة ، وبين ما عليه من واجب نحو الوطن الذى يغدق عليه خيره والذى يكلؤه ويحميه . فبقدر ما يقهر الانسان أنانيته ، وبقدر ما يتفوق على ضعفه وغرائزه ، وبقدر ما يتألم ويبذل ويضحى ، يرتفع فى سلم التحضر ، ويتسنم ذروة الخلود الأسمى فى الحياة والموت من اجل وطنه وخير العالم . وهذا ما فعلته الشهيدة هستيا . لقد احبت والدها وخطيبها بكل قوى قلبها وايمانها وشبابها . فلما صدمتها الحياة وايقنت من خطرها الداهم على بلادها ، انكرت بنوتها ، ثم قهرت حبها ، **ثم غالبت النعيم الباطل الذى كان فى متناول يدها ولم تتردد فى تسليم حبيبها الخائن الذى حاولت مع ذلك أن تهديه فقتلها .** فهذه الفتاة وضعت كرامتها فوق حبها ، ووطنها فوق نفسها ، وخلودها فى الوطن الباقى فوق نعيمها فى دنيا الحب البشرى الفانية . فاتخذوا منها مثلا حيا لكم . قدسوها ما حييتم . واعلموا أن النصر لو حالف فى معركة الاستقلال قائدكم ورعيمكم ، فسيرجع الكثير من الفضل فيه الى الشهيدة الباسلة التى ماتت من اجلكم !

فانحنت الجماهير فى خشوع ورددت :

ـ المجد للوطن ! ... المجد لهستيا ! ...

فتقدمت خادمات المعبد ، ورفعن الجثمان وسط عاصفة من الهتاف ، وحملنه الى المقبرة المقدسة القائمة تحت حرم الهيكل ، بينما كانت الجماهير تندفع نحوه ، وتتألب عليه ، كى تلمسه وتتبرك به قبل أن يغيب عن أعينها ويستقر فى مثواه الأخير .

وانتهت الصلاة وانصرفت الجماهير شيئا شيئا . ولكنها لم تغفل عن القيام بالواجب المفروض عليها نحو أسرة الشهيدة . فانطلقت في الشوارع تجمع زنابق وورود واكاليل غار اخرى ، لتحملها الى الكاهن الأول تمزية له وتمجيدا للبيت العتيد الذي ولدت فيه هستيا .

وساد الصمت في المعبد . فارتعش اوريون الدميم وظل ينظر في سكون الى حجرة المقدسة . نظر الى قلبه ، الى روحه ، الى أمله ، الى حلمه العظيم الذي استحال في مثل لمح الطرف حقيقة واقعة . فانخلع بدنه واومضت عيناه ... أحس فرحا عاتيا غمره وأذهله وأنساه حياته البائسة كلها . فلم يتمهل وتقدم . تقدم لغوره . تقدم وهو تائه ونشوان ، وعانق والد حبيبته ، ثم عانق استاذه ، ثم صارح الكاهن الأعظم بما أعتزم عليه . ولما أجابه الكاهن الى سؤاله ومنحه بركته ورضاه ، خلع اوريون نعليه ، وتمتم صلاة قصيرة . ثم مشى كالمؤمن المحتشى، ودخل حرم الهيكل الذي تنهض تحته المقبرة التي دفنت فيها هستيا . وهناك حيث آلى على نفسه أن يعيش ويموت ، **ارتمى على سطح المقبرة المقدسة ، وبسط ذراعيه المأوفتين كأنه يحتضنها ، ثم قبل ارضها الطاهرة وبكى .**

وعندئذ فقط احس ان موته عن الدنيا هو الحياة ، وانه الآن مكتمل السعادة كالأرباب ، وأن هستيا قد اصبحت حقا له وحده ، وان من المحال ان ينازعه في حبها بعد اليوم انسان .

* * *

ولم يفلح الفرس في الوقوف على اسرار جيش الاغريق ، ولم تنشب اية ثورة داخلية بعد مصرع كروتوس وشقيقه وعصبة المتآمرين . فاطمأن القائد الزعيم ملتيادس ، وتأهب لمعركة الاستقلال الفاصلة في سهل ماراثون . فطاف بجنوده قبل المعركة ، واثار حميتهم بذكر ما أقدمت عليه هستيا عذراء الوطن الشهيدة الخالدة ، ثم اطبق بجناحيه الفويين على جيش الفرس . **فمزق صفوفهم ، وما زال بهم يتعقبهم ويطاردهم حتى حطمهم تماما والقى بهم في البحر .**

المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر

الدار المصرية للتأليف والترجمة

تقدم في أول شهر يوليو ١٩٦٥

المكتبة الثقافية ١٣٤

صدرت في ١٩٦٥/٦/١

رياح فاجرة

تأليف د. فؤاد زكريا

تطلب من الباعة ومن دار القلم ١٩ ش ٢٦ يوليو بالقاهرة ت ٧٧٧٤١ ٣٢٥٥٠

العدد الرابع من

مجلة الفكر المعاصر

فكر مفتوح لكل التيارات يعرض اتجاهات الفكر في العالم

ويضع القارئ في تيار عصره

رئيس التحرير : د. زكي نجيب محمود

صدرت في ١٩٦٥/٦/٣

٥ ص

تطلب من الباعة ومن مكتبة دار التأليف والترجمة ٥ ميدان عرابي ت ٤٦٢٨٣

روائع المسرح العالمي ٦٢

كريمال الأشباح

تأليف موليير ودوكوبرا : ترجمة أحمد رضا : مراجعة وتقديم د. محمد مندور

صدرت في ١٩٦٥/٦/٤

٥ ص

ملتزم التوزيع في الداخل والخارج

مكتبة الخانجي ١١ ش عبد العزيز بالقاهرة ت ٩١٦١٤٨ - ٩٠٦١٤٨

العدد ٦ من المجلد الثالث من سلسلة

تراث الإنسانية

سلسلة تتناول بالتعريف والبحث والتحليل روائع الكتب التي أثرت في الحضارة الإنسانية

صدرت في ١٩٦٥/٦/٥

٥ ص

تطلب من الباعة ومن مكتبة دار التأليف والترجمة ٥ ميدان عرابي بالقاهرة ت ٤٦٢٨٣